بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 56 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:31\10\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

وصل الكلام إلى الآية التاسع عشر: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُورا﴾.

نقف في هذه الآية عند محطات:

المحطة الأولى: الآيات المشابهة

في سورة الواقعة الآية السابعة عشر، جاء قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُون﴾[1] إذاً طواف الولدان المخلدين على أهل الجنة أمر متكرر في القرآن الكريم، وفي سورة الطور الآية الرابعة والعشرين يقول: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُون﴾[2]. هذه آيتان مشابهتان للآية التي نبحث عنها وتصلحان قرينة عند التردد في المعنى هذه الآية.

المحطة الثانية: البحث في السياقي

ما هي العلاقة بين هذه الآية والآيات السابقة؟ إذا قرأنا من آية رقم خمسة عشر إلى هذه الآية، والتي يستعرض فيها جملة من نعم الله سبحانه وتعالى للأبرار. هناك أمور ثلاثة يتنعم بها الإنسان أشير إليها من الخامسة عشر إلى الآية التاسعة عشر، هؤلاء الأبرار في يوم القيامة وفي الجنة في ضيافة الرحمن، بعد أن بيّنت الآيات السابقة على الجو الحاكم ﴿لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَريرا﴾ وحالة جلوسهم ﴿مُتَّكِئينَ فيها عَلَى الْأَرائك﴾ وما شابه ذلك، بدأت بالتنعم في الشراب، التنعم في الشراب هناك ثلاث نعم يمكن أن يركز عليها في العادة:

---

[1] الواقعة: 17

[2] الطور: 24

النعمة الأولى: أداة الشراب، بماذا نشرب؟ ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ فهذا يشير إلى التنعم بأداة الشراب، أي عندما يستضاف شخص، كل ذلك له حظ من الإكرام، أنه ضيفه الطعام بأنواع من الصحون الزجاجية ووصفها كذا وكذا، هذا له حظ من الإكرام، هذه الطائفة الأولى من الآيات.

النعمة الثانية: من الآيات التي لم تكتف بالأدوات، بل ماذا يوجد في هذه الأدوات؟ ماذا يوجد في الآنية والكأس والأكواب؟ شراب ممزوج بالزنجبيل، مأخوذ من عين تسمى سلسبيلا، بعد أن قلت فلان استضافني بأنواع الصحون الذهبية والفضية وضع لي السمك المشوي وما شابه ذلك، فهذا ما يوضع في هذه الأدوات، هذا يريد أن يتنعم به الإنسان.

النعمة الثالثة: من النعم التي يتنعم بها الإنسان خصص بالخدام، من يخدمك؟ فتنعم بمن يخدمك.

فلأجل ذلك نلاحظ أن الطائفة الأولى عبرت بفعل الطواف، لكن بنته للمجهول؛ لأنها لم تكن بصدد بيان نعمة من يخدم، كانت بصدد بيان نعمة الأدوات التي تخدم بها، فلأجل ذلك لا يريد أن يشوش على المقصود الأصلي، فبنى الفعل للمجهول فقال: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ﴾ أما في الطائفة الثالثة لما أرادت أن تبين نعمة الخدمة بنت الفعل للمعلوم، قال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.

فإذاً هذه الآية التي نبحث عنها منسجمة مع الآيات السابقة انسجاماً سياقياً لتأدية نعمة متكاملة لهؤلاء الأبرار؛ لأن هذا يشوق السامع. وقس على ذلك إذا دعيت إلى وليمة تارة يلف لك السندوتشات وترمى بطريقة غير لطيفة، فلا يكون إكراماً، حتى لو كانت هذه السندوتش تشتمل على أشهى الطعام، كيف قدمت؟ من الذي قدمها؟ بأي أدوات قدمت؟ هذه السندويشة على ماذا تشتمل؟ فكّمل لهم النعمة من ناحية الأدوات آنية من فضة وأكواب قوارير شفافة على الرغم من أنها من فضة، يوجد في هذه الأدوات وفي هذه الآنية وفي هذه الأكواب شراب ممزوج بالزنجبيل مأخوذ من عين تسمى سلسبيلا، والذي يقدم هذه الأمور ولدان مخلدون، فتمم كل ما يرتبط بهذه النعمة.

فإذاً هذه الآية الشريفة مرتبطة ارتباطاً سياقياً واضحاً مع الآيات السابقة.

للأسف في معظم التفاسير لا يلتفتون إلى النكات السياقية.

المحطة الثالثة: بيان المقصود من الولدان.

أولاً: الأصل اللغوي لهذه الكلمة، الولدان جمع للوليد، والوليد صيغة فعيل، ونعرف في اللغة العربية صيغة فعيل تشترك بين المذكر والمؤنث، فجريح يقال للرجل والمرأة، نعم على الألسن شائع أن يقال للمرأة جريحة، لكن بحسب رصد اللغة تكون جريح للرجل وللمرأة.

فوليد حقه أيضاً أن يطلق على الرجل وعلى المرأة، لكن يقال للجارية وليدة بتاء التأنيث، وعندما نقول وليد بحسب الأصل اللغوي ينظر إلى أنه مولود من شخص، لكن لكثرة استعماله شاع أن يطلق مع قطع النظر عن كونه مولوداً من شخص، فصار يطلق على كل صغير، فالولدان يعني الصغار، مع قطع النظر عمن يولد منه.

وبحسب المقصود في المقام في هذه الآية وفي الآية التي في سورة الواقعة، وقع الاختلاف على أشده بين المفسرين، هناك قول يرى أن المقصود من الولدان هم صغار المؤمنين، الذين ماتوا في هذه الدنيا قبل أن يكلفوا، هؤلاء لهم وظيفة في الجنة، أنهم ولدان يطوفون في خدمة الأبرار وفي خدمة أهل الجنة.

هذا الرأي يظهر من جماعة من المفسرين، ويميل إليه الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب تصحيح الاعتقاد، حيث إنه عندما يتعرض لتعريف الجنة، فيقول: "الجنة دار النعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها رؤوب، جعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه وعبده لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضرب، فمنهم من أخلص لله تعالى، ومنهم من خلط عمله الصالح بأعماله السيئة، -إلى أن يقول- ومنهم من يتفضل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا [أن الله يدخله الجنة لكن لم يقم بشيء في هذه الدنيا لأنه لم يكن مكلفاً] وهم الولدان المخلدون."

فإذاً التفسير الأول للولدان المخلدون أنهم صغار المؤمنين، أولاد المؤمنين، الذين لم يكلفوا في هذه الدنيا.

وهنا صار في معركة في مناقشة هذا القول، أولاً: بعض الناس يرحلون عن هذه الدنيا وليس لهم أولاد، فهؤلاء من يخدمهم؟ لا بد أن يخدمهم أولاد غيرهم، خدمة أولاد الغير له فيه من الحط بكرامة الأب لهؤلاء الأولاد أن أبناؤه يخدمون غيره.

ثانياً: هم صغار الكفار في هذه الدنيا، حتى لا يرد الإشكال السابق، مثل الفخر الرازي رجح هذا القول، أن يحمل على صغار الكفار، فخدمتهم لغير آبائهم وإن كان فيه توهين لآبائهم لكن لا بأس به؛ لأن الآباء من أهل النار.

ثالثاً: أن هذه الكلمة على الاستعمال الشائع لم يلحظ فيها الصغير مع تولده من شخص، وإنما يراد منها الصغار، وفي الجنة الله سبحانه وتعالى خلق لأنواع النعم أفراداً وجماعات لم يكونوا في دار الدنيا، منهم الحور العين ﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَ إِنْشاء﴾[3]، ومن جملة من خلقهم في الجنة هم الولدان المخلدون.

ولعل هذا هو أكثر انسجاماً مع طريقة هذه الآيات، أن التنعم يكون بأشياء ابتدعه الباري سبحانه وتعالى في الجنة، ولا دليل على غيره. غاية الأمر القدر المتيقن الذي نفهمه من هذه الآيات ونستطيع أن نجزم به أن هؤلاء الذين يطوفون على الأبرار في الجنة هم صغار السن، كانوا في دار الدنيا أم لم يكونوا في دار الدنيا لنفترض ذلك فلا يضر.

لكن هؤلاء الصغار السن لهم مواصفات، وإلا مجرد أن يخدمني صغير السن ليس فيه نوع من التشريف والتكريم، إنما صار تشريفاً وتكريماً بالمواصفات التي ذكرت لهؤلاء الولدان. ولذا أرجح المعنى الثالث، وأن يكون قد خلقهن الله سبحانه وتعالى خصوصاً لخدمة المؤمنين، فهذا فيه نوع من التشريف.

أما بقية المواصفات لهؤلاء تأتي إن شاء الله

[3] الواقعة: 35